الاتساق الذاتي في القران الكريم

أ.د/ يحيى محمد ربيع

أستاذ الدراسات الإسلامية كلية الآداب

جامعة البحرين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله- ﷺ - وبعد:

فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

فالقرآن الكريم كتاب محكم، وإحكامه من وجوه إعجازه، فلو لم يكن محكما ما كان كلاما لله "فلو كان-القرآن-من عند غير الله لاختلفت أحكامه وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض، فليس من كلام آدمي إلا وفيه اختلاف، إما في وصفه، وإما في معناه، وإما في بلاغته، وإما في غير ذلك، من أنواع فنونه، والقرآن لا يدخله شيء من ذلك كله"[١]

وهذا الاحكام القرآني والتوافق والاتساق بين السور والآيات يمثل أحد أهم أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، والذي أراد هذا البحث بيانه وتوضيحه

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وستة مباحث:

أما المقدمة: فتناولت التمهيد لموضوع البحث مع القاء الضوء على تعريف ومفهوم الاتساق

أما المبحث الأول: فيتناول الاتساق في ترتيب القرآن النزولي

أما المبحث الثاني: فيتناول الاتساق في ترتيب القرآن المصحفي

أما المبحث الثالث: فيتناول اتساق القرآن في تأليفه الصوتي

أما المبحث الرابع: فيتناول الاتساق في نظم القرآن

أما المبحث الخامس: اتساق الأسلوب القرآني

أما المبحث السادس: فيتناول الاتساق في توالي المعاني

وفيما يلي تفصيل ذلك:

مفهوم الاتساق:

الاتساق من مادة: كلمة وسق، ويقال وسق الشيء ضمه وجمعه، يقال وسق الليل الأشياء.

وواسقه مواسقة ووسقا: عارضه فكان مثله ولم يكن دونه، ويقال هو لا يواسق فلانا: لا يعادله.

وسق الحب بالتضعيف: أي جعله وسقا وسقا.

واتسق الشيء اجتمع انضم وانتظم، واتسق القمر: استوى وامتلأ.

واستوسق الأمر: انتظم[٢]

وكل ما انضم فهو متسق، واتسق القمر استوى ، وفي التنزيل: ﴿**والقمر إذا اتسق**﴾[3] واتساق القمر: امتلاؤه واجتماعه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة وقيل إلى ست عشر[4]

والاتساق: الانتظام، ووسقت الحنطة توسيقا أي جعلتها وسقا وسقا[5]

وهذه المعاني هي المرادة هنا، فالإجماع والاستواء والانتظام والتمام والكمال الذي يوصف به الليل أو القمر أو التي في تمام وانتظام هي المعاني المرادة هنا فلا شك أن الكتاب السماوي كتاب مستو ومنتظم وتام ومتسق وعندما يقوم البرهان على أن به خللا أو تناقضا أو اختلافا فلا شك أن انتظامه واستوائه واتساقه كل ذلك سينهدم

المبحث الأول
الاتساق في ترتيب القرآن النزولي

نزول القرآن منجمًا:

دلت كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على نزول القرآن منجمًا منها:

قوله تعالى: ﴿ **وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلًا** ﴾ (٦).

وقوله تعالى : ﴿ **وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً** ﴾ (٧).

وقد دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة ، فقد روي أن الكفار من يهود ، ومشركين عابوا على النبي ﷺ نزول القرآن مفرقًا ، واقترحوا عليه أن ينزل جملة ، فأنزل الله هاتين الآيتين .

وقد قال ابن كثير عند تفسيره لآية الفرقان : " يقول تعالى مخبرًا عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم وكلامهم فيما لا يعنيهم ، حيث قالوا : ﴿ **لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة** ﴾ أي هلا نزل عليه هذا الكتاب الذي أوحي إليه جملة واحدة ، كما نزلت الكتب من قبله ، كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها من الكتب الإلهية فأجابهم الله تعالى عن ذلك بأنه ، إنما نزل منجمًا في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث ، وما يحتاج إليه من الأحكام ليثبت قلوب المؤمنين منه " (٨) .

ورد الله تعالى لهاتين الآيتين يدل على أمرين :

- **أحدهما:** أن القرآن نزل مفرقًا على النبي ﷺ . يقول الإمام السيوطي : " الذي استقرئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها أن القرآن كان يزل بحسب الحاجة خمس آيات ، عشر آيات وأكثر

وأقل ، وقد صح نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة ، وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة ، وصح نزول ﴿ غير أولي الضرر ﴾ وحدها وهي بعض آية (٩) .

- **والثاني**: أن الكتب السماوية من قبله نزلت جملة، وهو مشهور في كلام العلماء وعلى ألسنتهم حتى كاد أن يكون إجماعـــًا (١٠).

وينبغي الآن أن أبين ما في هذا الترتيب النزولي من حكم وأهداف.

حكم وأهداف الترتيب النزولي:

لتنجيم نزول القرآن، بل ولترتيب هذا النزول أسرار عدة، وحكم كثيرة:

١- **أولها**: مراعاة حاجة الدعوة إلى الدين الجديد من الوجهة التربوية الإلهية الخاصة ، والتدرج بالناس شيئًا فشيئًا ، حتى يتم المراد من إكمال الدين وتمام النعمة ، دون أن تكون هناك عوائق نفسية تعوق الإنسان السوي عن متابعة التنزيل ، وتدبر معانيه والاقتناع بمراميه والعمل بما تضمنه من أحكام .

وأريد أن أقول هنا : إن أول ما نزل كان ينبغي أن يكون هو أول ما نزل ، وهكذا آخر ما نزل ، فالحق عز وجل يعلم أن الناس في بدء الدعوة ، ليسوا في حاجة إلى آيات الأحكام ، لكنهم في حاجة إلى آيات العقائد ذات النغـــم الخاص التي ترغـــب الفرائض ، وتهز المشاعر وتزلزل القلوب ، ولا شك أن لآيات الترغيب والترهيب ، وذكر الجنة والنار أثرًا كبيرًا في فترة الإسلام الأولى وحتى أدلل على ما أقول فقد أخرج البخاري عن عائشة قالت : " إنما نزل أول ما نزل منه سورة

من المفصل ، فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء ، لا تشربوا الخمر ، لقالوا : لا ندع الخمر أبدًا ، ولو نزل لا تزنوا ، لقالوا : لا ندع الزنى أبدًا " (١١) .

ويدل على ذلك أيضًا ، أن الفترة المكية على طولها لم تكن التعاليم القرآنية فيها متجهة إلا إلى بناء العقيدة ، وترسيخها في أعماق الوجدان ، وما ذلك إلا لأن العقيدة هي قوة الدفع للإنسان المؤمن نحو الطاعة المطلقة لله في الأمر والنهي .

فالقرآن بترتيبه النزولي منهج دعوة لتأسيس دين الله ، بين قوم لا يدينون بالحق ومنهج تربية لأمة مختارة ومصطفاة لنشر هذا الدين .

" الذي يتمشى مع هذا المنهج ، هو أن تتقدم الآيات المكية التي تمتاز بأنها أوفر عددًا ، وأكثر جملاً ، وأكثر إلزامًا بنغمات موسيقية معينة " (١٢).

٢- ثانيها : تثبيت فؤاد النبي ﷺ :

يقول تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ﴾ فأجابهم الله تعالى بقوله لرسوله ﷺ : ﴿ **كذلك لنثبت به فؤادك** ﴾ (١٣) .

يقول الإمام السيوطي : " إن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة ، كان أقوى بالقلب وأشد عناية بالمرسل إليه ، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز ، فيحدث له من السرور ما تقصد عنه العبارة ، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياه جبريل " (١٤) .

وبعبارة أخرى :

" في تجدد الوحي وتكرار نزول الملك به من جانب الحق إلى

رسوله ﷺ سرورًا يملأ قلب الرسول ، وغبطة تشرح صدره وكلاهما يتجدد عليه بسبب ما يشعر به من العناية الإلهية وتعهد مولاه إياه في كل نوبة من نوبات هذا النزول " [١٥] .

ويذكر الشيخ الزرقاني عدة وجوه ؛ ليثبت فؤاد النبي ﷺ وتقوية قلبه ومنها : " في التنجيم تيسير عليه من الله في حفظه ، وفهمه ومعرفة أحكامه وحكمه ، وذلك مطمئن له على وعي ما يوحى إليه ، حفظًا وفهمًا وإحكامًا وحكمًا، كما أن فيه تقوية لنفسه الشريفة على ضبط ذلك كله "[١٦].

ومنها أيضًا :

" أن في كل نوبة من نوبات هذا النزول معجزة شديدة ، غالبًا ، حيث تحداهم كل مرة أن يأتوا بمثل نوبة من نوب التنزيل ، فظهر عجزهم عن المعارضة ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، ولا شك أن المعجزة تشد أزره، وترهف عزمه باعتبارها مؤيدة له ولحزبه، خاذلة لأعدائه ولخصمه"[١٧]. وفي ذلك تأييد حقه ودحض باطل عدوه ، وانتصار الإنسان وهزيمة خصمه مطمئن للفؤاد مريح للقلب .

ومنها أيضًا :

تعهد الله إياه عند اشتداد الخصام ، فالشدائد بالنسبة للرسول ﷺ كانت تحدث في أوقات متعددة ، متقاربة كانت أو متباعدة ، والرسول في كل هذه الأوقات يحتاج إلى التسلية ، واتصال السماء به .

يقول الشيخ الزرقاني : " فكلما أحرجه خصمه سلاه ربه ، وتجيء تلك التسلية تارة عن طريق قصص الأنبياء والمرسلين التي لها في القرآن عرض طويل " [١٨] وفيها يقول تعالى : ﴿ **وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين** ﴾ [١٩] .

وتارة تجيء التسلية عن طريق وعد الله لرسوله بالنصر والتأييد والحفظ ، كما في قوله تعـالى:﴿ **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** ﴾ (٢٠)، وقوله تعالى : ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ (٢١) ، وقوله تعالى : ﴿ **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل** ﴾ (٢٢) .

وهذه الوجوه كلها تؤدي إلى تثبيت فؤاد النبي ﷺ ، وإذا كان هذا التثبيت من حكم تنجيم القرآن ، فإن هذا لا يخرج عن المصلحة العليا لدعوة الناشئة وهو المقصود الأول الذي ذكرناه ، لكنه يتمثل هنا في شخص الداعي الأعظم ، مما يتناسب مع مهمة عظمى التي أمر أن يصدع بها ، ويجاهد الأمم من أجل إرساء قواعدها ، ففي قوة الداعي قوة لأتباعه ، ما في ذلك جدال .

٣- وثالثها: تثبيت أفئدة المؤمنين:

ولقد كان القرآن يتدرج مع الأحداث والوقائع والمناسبات الفردية والاجتماعية التي تعاقبت في حياة الرسول ﷺ ، ولا شك أن هذه الأحداث وتلك الوقائع ، تعددت بترتيب زمني معين، فكان القرآن ينزل حسب ترتيبها ، وكانت هناك أسئلة متعددة أيضًا ، وكان القرآن ينزل ليجيب عن كل سؤال في حينه .

وكان المسلمون في أوائل الدعوة وفي بدء الإسلام يصيبون ويخطئون ، وكان لابد من لفت أنظارهم إلى تصحيح أغلاطهم التي يخطئون فيها ، وإرشادهم إلى شاكلة الثواب في الوقت نفسه ، ولا ريب أن تلك الأغلاط كانت في أزمان متفرقة ، فمن الحكمة أن يكون القرآن النازل في إصلاحها متكافئًا معها في زمانها .

وبناءً على ما تقدم، كان ينبغي أن يكون للقرآن ترتيب في نزوله، يساير كل ذلك وقد كان ، إذًا فلترتيب النزول قصد وسر ومعنى

وحتى لا نلقي بالكلام جزافًا سأسوق أدلة على هذه الوجوه المتقدمة.

١ ـ تدرج القرآن مع الأحداث والوقائع :

" كان القرآن الكريم يساير الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها ، فكلما جد جديد نزل من القرآن ما يناسبه ، وقد كان يجاري الأقضية والوقائع في حينها ببيان حكم الله فيها عند حدوثها ووقوعها . ومعلوم أن تلك الأقضية والوقائع لم تقع جملة ، بل وقعت تفصيلاً وتدريجًا ، فلا مناص إذًا من فصل الله فيها بنزول القرآن على طبقها تفصيلاً وتدريجًا " (٢٣) .

والأمثلة على هذا كثيرة ، ومن ذلك ما ذكره الإمام أبو السعود في تفسيره عن سبب نزول أول آيات المجادلة ، حيث يقول الله في مفتتح السورة : ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير** ﴾ (٢٤) .

" وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية ، ظاهر عنها زوجها أوس بن الصامت أخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما أظنك إلا قد حرمت علي فشق عليها ذلك ، فاستفتت رسول الله ﷺ فقال : " حرمت عليه " ، وفي رواية : " ما أراك إلا قد حرمت عليه " في المرار كلها ، فقالت : " أشكو إلى الله فاقتي ووجدي ، وجعلت تراجع رسول الله ﷺ ،وكلما قال لها : " حرمت عليه " هتفت وشكت إلى الله فنزلت " (٢٥) .

ومن هذه الأمثلة أيضًا ، الآيات التي نزلت في حادث الإفك يقول تعالى : ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرًا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم** ﴾ (٢٦) .

يقول الإمام ابن كثير : " هذه العشر آيات كلها نزلت في شأن

عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله عز وجل لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه، فأنزل الله تعالى براءتها صيانةً لعرض الرسول ﷺ " (٢٧) .

٢ - إجابة السائلين على أسئلتهم :

ولفظ (يسألونك) ورد في القرآن الكريم مرات متعددة ، وهو دليل على أنه كانت هناك أسئلة تثار وتوجه إلى الرسول ﷺ ، وأن السماء كانت تجيب عن هذه الأسئلة ، في صورة وحي ينزل على رسول الله ﷺ .

والأسئلة كانت إما لغرض التنوير ومعرفة حكم الله تعالى ، وهذا كثير في كتاب الله ، كقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ **يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم** ﴾ (٢٨) .

" أخرج ابن جريرعن ابن جريح قال : سأل المؤمنون رسول الله ﷺ أين يضعون أموالهم فنزلت الآية"(٢٩)

وهكذا قوله : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام** ﴾ ، وقوله : ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر** ﴾ ، وقولــــه : ﴿ **يسألونك ماذا ينفقون قل العفو** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ويسألونك عن اليتامى** ﴾ ، وقولــه : ﴿ **ويسألونك عن المحيض** ﴾ "(٣٠)

وإما لغرض التثبت من الرسالة كقوله تعالى : ﴿ **ويسألونك عن الروح** ﴾ يقول الإمام الواحدى : " عن علقمة عن عبيد الله قال : أتى مع النبى ﷺ فى حرث بالمدينة وهو متكئ على عسيب فمر بنا ناس من اليهود، فقالوا : سلوه عن الروح ، فقال بعضهم : لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون . فأتاه نفر منهم فقالوا : يا أبا القاسم ما تقول فى الروح ؟ ، فسكت ثم ماج فأمسكت بيدى على جبهته فعرفت أنه ينزل عليه ــ أى الوحى ــ فأنزل الله عليه : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر**

ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ (٣١)

" ومن ذلك سؤالهم عن فتية فقدوا فى أول الزمان ، وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها " (٣٢) ، يقول تعالى : ﴿ **ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا** ....﴾ (٣٣) الآيات .

ولا ريب أن تلك الأسئلة كانت ترفع إلى النبى ﷺ فى أوقات مختلفة ، وعلى نوبات متعددة ، حاكية أنهم سألوا ولا يزالون يسألون ، فلا يدع أن ينزل الجواب عليها كذلك ، فى أوقاتها المختلفة ، ونوباتها المتعددة .

وكان حتمًا أن ينزل القرآن بترتيبه النزولي كما نزل لوقوع تلك الأسئلة مرتبة زمنًا .

٣ ـ لفت أنظار المسلمين إلى أخطائهم :

يقول تعالى : ﴿ **ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين** . . . ﴾(٣٤) إلخ الآيات .

وهي آيات تردع المؤمنين عن رذيلة الإعجاب والاغترار في يوم من أيام الله ، وتلفت نظرهم إلى مقدار تدارك الله لهم في سكرتهم ، وإلى وجوب أن يثوبوا إلى رشدهم ، ويتوبوا إلى ربهم .

ويقول الإمام السيوطي : " قوله تعالى : ﴿ **ويوم حنين** ﴾ الآية أخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع بن أنس أن رجلاً قال يوم حنين : لن نغلب اليوم من قلة ، وكانوا اثني عشر ألفًا ، فشق ذلك على رسول الله ﷺ ، فأنزل الله :﴿ **ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم** ﴾ (٣٥) .

يقول الشيخ الزرقاني : " اقرأ إن شئت قوله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران : ﴿ **وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال** . . . ﴾ إلى آيات كثيرة بعدها ، وكلها نزلت في غزوة أحد إرشادًا

للمسلمين إلى مواضع أخطائهم في هذا الموقف الرهيب ، والمأزق العصيب " [٣٦] .

وهذه الوجوه الثلاثة التي تشترك جميعها في تثبيت قلوب المؤمنين ، والتي يبين فيها أن لترتيب نزول القرآن ضرورة وحكمة وسرًا ، وأنه بهذا الترتيب كان متسقًا تمام الاتساق مع الحوادث ، والوقائع ، ومع الأسئلة الواردة ، ومع الأخطاء الشائعة .

" وفي ربط الوجدان والعقل بالوحي على هذه الصورة مذاكرة نفسية للعقيدة أبلغ من كل كلام في موازين التربية التعليمية في أسمى قيمتها ونجاحها " [٣٧].

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا** ﴾[٣٨].

رابعها : تجدد الحوافز ، والتدرج في التربية علمًا وعملاً :

هذه هي الحكمة الرابعة من تنجيم القرآن الكريم ، وترتيبه النزولي ، فلقد كانت الحوافز تتجدد كلما نزل الوحي ، أو كلما تجدد صوت السماء ، فلقد كانت هناك حوافز تبشر المؤمنين الدعاة على قلتهم وضعفهم في المال والسلاح بالانتصار ، وإذلال جبروت العدو ، حتى يكون ذلك أدعى إلى صلابة العزائم ، والإصرار في المضي على الطريق ، " لا سيما وإن تلك الحوافز كلها قد تحققت من المواجهة القرآنية ، فانعكست في السنة النبوية تعميقًا ، وتوسيعًا لمفهومها ، بالبشريات التي زفها الرسول ﷺ لأتباعه ، بالانتصار على مملكة فارس ، وبدوام النصر والفتح ما عاشت شريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " [٣٩] .

صار الرعيل الأول يرتوي بهذا الفيض غيضًا بعد غيض ، وآيةً بعد آية حتى اكتمل علمًا وعملاً ، وعقيدة ، وحكمًا ، مما أدى إلى :

- أولاً : تيسير حفظ القرآن على المسلمين " فلو أنزل القرآن جملة واحدة لعجزوا عن حفظه ، فاقتضت الحكمة العليا أن ينزله الله إليهم مفرقًا ليسهل عليهم حفظه ، ويتهيأ لهم استظهاره " (٤٠) .

وخاصة أنهم كانوا مشغولين بمصالحهم المعيشية ، وبالذب عن الدين الجديد ، وأدوات الكتابة غير متوفرة وهم أمة أمية .

- ثانيًا : تسهيل فهمه وتدبره عليهم ، وهذه نقطة لاحقة بالتي قبلها أو تابعة لها مباشرةً .
- ثالثًا : البلوغ بهم مبلغ الكمال في التحلي بالعقائد الحقة ، والعبادات الصحيحة ، والأخلاق الفاضلة من جراء ما فتح عيونهم عليه ، من أدلة التوحيد ، وبراهين البعث بعد الموت وحجج الحساب والمسئولية والجزاء .

ثم انتقل بهم بعد هذه المرحلة إلى العبادات ، فبدأهم بفرضية الصلاة قبل الهجرة ، وثنى بالزكاة وبالصوم في السنة الثانية من الهجرة ، وختم بالحج في السنة السادسة منها .

وكذلك كان الشأن في العادات ، زجرهم عن الكبائر ، ثم نهاهم عن الصغائر ، وتدرج بهم في تحريم ما كان مستأصلاً فيهم كالخمر ، تدرجًا حكيمًا حقق الغاية ، وأنقذهم من كابوسها في النهاية ، وكان الإسلام في انتهاج هذه الخطة المثلى أبعد نظرًا ، وأهدى سبيلاً ، وأنجح تشريعًا ، وأنجح سياسةً من تلكم الأمم المتمدينة المتحضرة ، التي أفلست في تحريم الخمر على شعوبها أفظع إفلاس ، وفشلت آخر فشل ، وما عهد أمريكا في مهزلة تحريمها الخمر ببعيد (٤١).

وصدق الله العظيم : ﴿ **وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث**

ونزلناه تنزيلاً ﴾ [٤٢] .

تعقيب :

لقد قصدت بالمبحث السابق أن أبين أن ترتيب القرآن النزولي ـــ الذي يختلف عن الترتيب المصحفي ـــ ترتيب منسق ومنسجم ومنتظم مع منهج الإسلام في تأسيس دين بين قوم لا يدينون بالحق ، هذا المنهج الذي اتجه إلى بناء العقيدة أولاً ، والتي يتسق معها الآيات الأولى في النزول ، القصيرة القوية الجرس ، التي ألهبت المشاعر وبها ترسخت العقيدة في أعماق الوجدان .

كما أنه متسق مع الأحداث والوقائع ، فقد كان ينزل الوحي بالقرآن مبينًا للحوادث الجارية .

كما كان متسقًا عندما كان ينزل ليرد على أسئلة السائلين ، ويجيب جوابه الناجح عن المستفتين، ففي القرآن كلمتا: " يسألونك " و" يستفتونك " .

وهو متسق أيضًا في ترتيبه النزولي ، عندما كان ينزل ليلفت أنظار المسلمين إلى خطأ معين وقعوا فيه في سلم أو حرب .

وأدى نزوله بهذه الطريقة إلى تثبيت قلب رسول الله ﷺ ، وتثبيت قلوب المؤمنين ، وخاصة عندما كان يهتك أستار وسرائر المنافقين ، ويأمر المسلمين أن يأخذوا حذرهم ليأمنوا شرهم ، يقول تعالى : ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين** ﴾ إلى قوله : ﴿ **إن الله على كل شيء وقدير** ﴾ [٤٣] .وهن ثلاث عشرة آية ، فضحت المنافقين كما فضحتهم سورة التوبة في كثير من الآيات ، وكما كشف القرآن أستارهم في كثير من المناسبات .

كما كان لنزوله بهذه الطريقة الفضل في تمكن النبي من خطه وتعليمه للناس وإملائه على كتابه ليدونوه .

أي اتساق وانتظام يرقى إليه كتاب في الدنيا بهذه الطريقة ، التي وضحناها ؟ ولذا كان من بين علوم المسلمين علم أسباب النزول لمعرفة سبب نزول الآية ، وكتب اليهود والنصارى من التوراة والأناجيل المنسوبة إلى موسى ، وعيسى زورًا تخالف القرآن في هذا الجانب ، فليس عندهم علم بأسباب النزول ولا تتمتع هذه الكتب بما يتمتع به القرآن في اتساقه مع الوقائع والرد على الأسئلة .

ويقول الشيخ الزرقاني : " وإنه ليستبين لك سر هذا الإعجاز إذا علمت أن محاولة مثل هذا الاتساق والانسجام لن يمكن أن يأتي على هذا النمط الذي نزل به القرآن ، ولا على قريب من هذا النمط ، لا في كلام

الرسول ﷺ ، ولا في كلام غيره من البلغاء وغير البلغاء " (٤٤).

المبحث الثاني
الاتساق في ترتيب القرآن المصحفي

الآيات التي نزلت منجمة، أعيد ترتيبها مرة أخرى وتنسيقها، فصارت توضع بجانب أختها ، حتى تكونت السورة حتى تألف القرآن كله ، وهذا الترتيب آيات وسور توفيقي و لا شبهة في ذلك .

ترتيب الآيات:

يقول الإمام السيوطي : " الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توفيقي ، أما الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان ، وأبو جعفر في مناسباته ، وأما النصوص فمنها حديث زيد " كنا عند النبي ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع " (٤٥).

وكان ﷺ يقول لكتاب الوحي عند نزول الآيات : " ضعـوا هؤلاء الآيات في السور التي يذكر فيها كذا وكذا " (٤٦).

وأخرج أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص قال : " كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ ، إذ شخص ببصره ، ثم صوبه ثم قال : أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضوع ، من السورة : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى . . .** ﴾ .

ويقول السيوطي : " ومن النصوص الدالة على ذلك إجمالاً ، ما ثبت من قراءته ﷺ لسور عديدة كسورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء في حديث حذيفة والأعراف في صحيح البخاري ، أنه قرأها في المغرب ، وقد أفلح ، روى النسائي أنه قرأها في الصبح ، والروم روى الطبراني أنه قرأها في الصبح ، الم تنزيل وهل أتى على الإنسان ، روى الشيخان أنه كان يقرأهما في صبح الجمعة ، ق في صحيح مسلم أنه كان يقرأها في الخطبة ، والرحمن في المستدرك وغيره أنه قرأها

على الجن ، والنجم في الصحيح أنه قرأها بمكة على الكفار وسجد في آخرها ، واقتربت عند مسلم ، أنه كان يقرأها مع ق في العيد ، والجمعة والمنافقون ، في مسلم أنه كان يقرأ بهما في صلاة الجمعة ، تدل قراءته ﷺ بمشهد من الصحابة أنه ترتيب آيتها توقيف وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيبًا سمعوا النبي ﷺ يقرأ على خلافه فبلغ ذلك مبلغ التواتر " (٤٧).

ترتيب السور:

ترتيب السور توفيقي كترتيب الآيات فما كان لكتاب الله تعالى أن يترك شيئًا لاجتهاد واحد ، وإذا كانت الأدلة على ذلك كثيرة ، فإن أكبر دليل عندي هو أن القرآن على هيئته التي يوجد عليها الآن وعلى ترتيبه المصحفي ، سورًا وآياتٍ لم يختلف عليه أحد ، وليس هناك مصحف آخر مخالف في الترتيب ، وأظن أن الأمر لو كان متروكًا لاجتهاد الصحابة لاختلفوا ــ حتمًا ــ كما اختلفوا في مسائل كثيرة ، والاختلاف حول أمر لا نص فيه من طبيعة البشر .

قال ابن الحصار : " ترتيب السور ووضع الآيات مع بعضها إنما كان بوحي ، كان رسول الله ﷺ يقول : " ضعوا آية كذا في موضع كذا " . وقد حصل اليقين من النقل المتواتر لهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف " (٤٨).

وقال أبو بكر بن الأنباري : " أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ، ثم فرقه في بضع وعشرين ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآيات جوابًا لمستخبر ، ويوقف جبريل النبي ﷺ على موضع الآية والسورة ، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كلها عن النبي ﷺ ،

فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن " (٤٩).

ومما هو معلوم ، أن جبريل كان يعرض على رسول الله ﷺ ما اجتمع عنده من القرآن مرة كل سنة ، وعرض عليه في السنة التي تُوفّي فيها مرتين ، وهناك أحاديث تدل على أن هذا الترتيب كان معلومًا في عهد النبي ﷺ ، ومنها : " اقرأوا الزهراوين : البقرة وآل عمران " (٥٠).

وعن ابن مسعود أن الرسول ﷺ قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء : " إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي " (٥١).

فذكرها نسقًا كما استقر ترتيبها ، وإذا كنا قد وصلنا الآن إلى الترتيب المصحفي الموجود بآيته وسوره توقيفي ، لا اجتهاد فيه لأحد ، أي بوحي السماء ، فإن هذا الترتيب مخالف لترتيب النزول ، فنجد آيات قد نزلت أولاً بجانبها آيات تأخر نزولها ، ونجد السور مكية إلا بعض آياتها ، أو مدنية إلا آية كذا ، وآية كذا ، ومع ذلك فلم يكن ترتيبًا عشوائيًا ، ولا غير منتظم ومنسجم ، لكن جاء متسقًا كل الاتساق ، مما يدل على أنه كلام الله تعالى .

" إن عقلاً بشريًا مهما أوتي من القوة والحفظ والإحكام ، لا يستطيع أن يذكر موضع فقرة من كلام سابق مضى عليه سنوات ، فيضعها في مكانها ، وحيث تلتحم مع سابقاتها ولاحقتها في اللفظ والمعنى والسياق ، ولو أن عقلاً أتقن ذلك في حالة واحدة ، فلن يستطيع أن يحكم في حالات كثيرة وفي سور كثيرة ، بحيث لا تشذ حالة واحدة عن قاعدة الأحكام المشهورة في كتاب الله المحكم " (٥٢).

لقد حدثت تلك التجزئة في النزول ، باستثناء آية وآيات من سورة لتنزل بعد نزول أجزاء تلك السورة لسنين طويلة ، حدث ذلك في سورة

البقرة والأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، ويونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر ، والنمل ، والإسراء ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، والحج ، والمؤمنون ، والفرقان ، وتسع وعشرين سورة أخرى ، ومع ذلك فقد وضعت الآيات التي تأخر نزولها من تلك السورة ، في أماكنها متلاحمة تمام التلاحم مع سوابقها ولواحقها ، فلا تنافر بينهما في المعنى ولا في جرس الكلام .

وأضرب على ذلك مثلاً ، وهذا المثل من سورة الزمر ، فهذه السورة نزلت بمكة إلا قوله تعالى : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله** . . ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **وأنتم لا تشعرون** ﴾ .

وهذه آيات ثلاث نزلت بالمدينة ، ووضعت في مكانها من السورة المكية ، وسار وضع الآيات بعد ذلك على الوجه التالي : ﴿ **أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون * قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون * أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنتُ لمن الساخرين** ﴾ (٥٣).

" فنحن نرى أن بسط الرزق والتضييق فيه مظنة الإسراف على النفس ، ففي حالة البسط بالترف ، وارتكاب الموبقات ، وفي حالة الضيق بالعدوان للحصول على المال ، فاقتضت الرحمة الإلهية فتح باب التوبة للمسرفين وتحذيرهم من التسويف بها ، خشية حلول العذاب المفاجئ فيندم المذنب لتفريطه وسخريته بالأمر الإلهي " (٥٤) .

وهكذا تلاحمت الآيات تلاحمًا عجيبًا ، لا يكون أبدًا إلا عن توقيف

من الوحي ، فهل ترى تلاحمًا أبدع من هذا التلاحم ؟ ولكنه نبي ورسول ، وما ينطق عن الهوى .

ويتحدث " مالك بن نبي " عن الوحدة الكمية في القرآن وعلاقتها بالفكرة فيقول : " هذه الوحدة تؤدي بالضرورة إلى فكرة واحدة ، وأحيانًا مجموعة من الفكر المنتظم بأسلوب منطقي يمكننا ملاحظته في آيات القرآن ، ودراسة هذه الفكرة في ذاتها وفي علاقتها ببقية حلقات السلسلة ، تكشف عن قدرة خالقه ومنظمه ، لا يمكن أن تنطوي عليها الذات المحمدية " (٥٥).

ولهذا الاتساق والدقة في البناء القرآني ، قال مستشرق يدعى "شفالي" : " إن كتابًا غير القرآن لم يحظ بالعناية التي أحيط بها ، ولم يصل بالتواتر كما وصل ، فجاء أكمل وأدق مما يتوقعه أي إنسان " (٥٦).

ولا شك أن القرآن الذي سحر العرب منذ اللحظة الأولى ، سواء من شرح الله صدره للإسلام منهم ، ومن جعل على بصره غشاوة ، كان يتلى عليهم بنفس ترتيبه الآن وسحره يرجع إلى صلابة بنائه واتساق ترتيبه .

يقول الأستاذ " سيد قطب " عن منبع السحر في القرآن : " إنه نسق متساوق يربط فواصله تناسق داخلي دقيق " (٥٧).

بل إن لبناء القرآن بهذه الطريقة جمال فني خالص يتسق مع الأغراض الدينية المقصودة ، يقول سيد قطب : " لو تجاوزنا حدود الزمان والمكان ، وتخطينا الأجيال والأزمان ، لوجدنا بعد ذلك كله هذا الجمال الفني الخالص ، عنصرًا مستقلاً بجوهره ، خالدًا في القرآن بذاته ، وإن هذا الجمال ليتملى وحده فيغنى ، وينظر في تساوقه مع

الأغراض الدينية فيرتفع في التقدير " (٥٨).

وهكذا ينسجم البناء القرآني ويتسق بدءًا وتوسطًا واختتامًا ، لقد " امتاز القرآن عن غيره بالبراعة الخارقة عند الافتتاح وعند التخلص ، وعند الاختتام ، فما من سورة من سور القرآن. إلا قد افتتحت أجزل الألفاظ وأبلغها وأرقها وأسلسه ، مما يدل على تعظيم الله تعالى وثبوت الحمد لله ، كالفاتحة والأنعام او تنزيهه عما لا يليق به من صفات النقصان ، كالإسراء والأعلى أو بالقسم على إثبات البعث والنشور ، ووقوع الحساب والعقاب كالذاريات والطور ، أو نحو ذلك من المعاني البليغة والأمور الجليلة ، وقد ضمن الله فاتحة كل سورة ، ما اشتملت عليه تلك السورة من المقاصد النافعة للبشر في الدين والدنيا ، وأبرز ذلك في عبارة هي الغاية فيما عرف من براعة الاستهلال ، ثم صرف المعاني من غرض إلى غرض ، ونوعها من باب إلى باب ، مع توفية كل غرض حقه ، ومع حسن انتقال من كل فن إلى الذي يليه ، ولو كان بعد ما بينهما متفق الآحاد ، فإذا اختتم السورة أشعر السامع أنه قد انتهى الغرض ، وانقضى الكلام ، بحيث لا يبقى للنفس تشوق لسماع كلام بعد هذا الختام " (٥٩).

وبهذا أرى أنه كما كان للترتيب النزولي حكمة بالغة ، واتساق مع الأحداث وتجاوب كامل مع الوقائع ، وتصحيح للأخطاء وإجابة عما يدور من أسئلة وفتوى الاستفتاء ، وهتك لدواخل المنافقين ، مما يدل على أن القرآن كان يعيش بترتيبه النزولي نبض المسلمين ، ويستجيب لمشاعرهم ، وفي كل ذلك اتساق أيما اتساق ، فإذا كان الترتيب النزولي بهذا الانسجام ، فإن ترتيب القرآن تلاوة بعد البناء الجديد للقرآن ، وترتيب الآيات والسور على هذا الوضع ، انسجام من نوع آخر ،

واتساق جديد ، وتنسيق نظم أبدع ، أقر ببلاغته وتفوقه وإغداق أسفله وإثمار أعلاه ، أسبق المعاندين في مضمار الفصاحة والبلاغة ، وأغلبهم في التحدي بنظم الكلام ونثره ، فكان ذلك دليلاً جديدًا وحجة ناطقة ، على أن القرآن العظيم كلام الله تعالى .

أجل: إن ترتيب القرآن في التلاوة على هذا الوجه بينة على إعجازه ، وبرهان قاطع ، على أنه ليس في متناول البشر ، ودليل ساطع على أنه قد رقى في البلاغة إلى أسمى درجاته ، حتى ولّى أعداؤه عن تحديه مدبرين .

ذلك أن هذا الترتيب الإلهي التوقيفي قد جعل الآيات والسور جميعها متماسكة الأطراف جيدة السبك ، متصلاً بعضها ببعض اتصالاً محكم العرى ، لا انفصام فيها حتى صارت الآيات والسور آخذة بعضها بحجزة بعض ، أخذًا يفوت المعنى القرآني البليغ بانفكاكه ، وكانت كل آية أو سورة بمنزلة الجزء الذي لا قوام لكله إلا به ، وكان القرآن العظيم جميعه بعد التوقيف جملة واحدة ، وصارت كل سورة لا غنى لها عما قبلها ، ولا يستغنى عنها ما بعدها ، وكل آية لا يقع موقعها سواها .

ولا ريب أن هذه هي الدرجة العليا للبلاغة التي أخرست البلغاء ، وأدهشت الفصحاء ، وملوك الكلام من العرب .

ويستدل الإمام السيوطي بموافقة آخر السورة الأولى ما بعدها ، كآخر الحمد في المعنى وأول سورة البقرة ، وبالوزن في اللفظة كآخر " تبت " وأول " الإخلاص " وبمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى " كالضحى " " وألم نشرح " وبمناسبة افتتاح كل سورة غاية المناسبة لما ختمت به السورة التي قبلها ، يستدل بكل ذلك على أن البناء القرآني

بترتيبه المصحفي ، كان على عهد النبي ﷺ وتوقيفي صادر من حكيم " (٦٠) .

ولا شك أن الوجوه التي استدل بها الإمام السيوطي على أن الترتيب القرآني هي نفسها أوضح الأدلة على اتساق هذا البناء وانسجامه .

ومن كل ما سبق يتضح لنا تمامًا اتساق القرآن النزولي ، واتساقه المصحفي مما يدل على أنه أحسن الحديث ، قال تعالى : ﴿ **الله نزّل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد** ﴾ (٦١) .

أمثلة على اتساق البناء القرآني:

وأذكر هنا بعض الأمثلة على اتساق البناء القرآني:

١ – ورد في سورة هود قوله تعالى: ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ (٦٢) .

وسورة هود مكية، والمعنى: فأتوا بعشر سور مثله، أي من الفاتحة إلى هود، فمن الفاتحة إلى هود عشر سور، مع أن البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة مدنيات نزلن بعدها.

فآية هود مستقيمة المعنى على ترتيب النزول، باعتبار أن التحدي وقع على عشر سور من القرآن عامة غير محددة، ومستقيمة المعنى على ترتيب المصحف الذي حدد العشر (٦٣).

٢ – قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين** ﴾ (٦٤) .

وقال في سورة الأنفال : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما تعملون بصير** ﴾ (٦٥) .

" وقد جاء هذا النسق ، على ترتيب القتال داخل الجزيرة العربية

وخارجها ، فالذي في سورة البقرة يراد به كفار الجزيرة العربية ، لتكون القاعدة العربية الأولى التي يناط بها نشر الدعوة خارج الجزيرة ، وبذلك جاء في الأنفال كلمة (كله) أشار إلى قتال جميع الكفار ، وقد تطابق الترتيب مع الواقع ، ورتبت الأوامر حسب تدرجها " (٦٦)

٣ ــ في معرض التحدي بالقرآن في سورة البقرة جاء التحدي بسورة واحدة ، وزيلت الآية بقوله تعـــالى : ﴿ **وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ (٦٧). ، وفي سورة هود جاء التحدي بعشر سور مثله
وزيلت الآية بقوله تعالى : ﴿ **وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ (٦٨) ، وفي سورة الإسراء جاء التحدي بالقرآن كله وجاء بهذا الأسلوب : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا** ﴾ (٦٩)

" وبهذا تدرك تدرج التحدي من سورة إلى عشر سور إلى القرآن كله ، وملاءمة القرآن بين القدر المتحدى به ، ومقدار المدعوين إلى معارضته ، في ترتيب دقيق محكم " (٧٠) .

فلما كان القدر المتحدى به في البقرة سورة واحدة ، كان مقدار المدعوين وادعوا شهداءكم ، والشهداء فقط ملائمون للتحدي ، بسورة واحدة ، ولما زاد القدر المتحدى به إلى عشر سور في هود زاد في المدعوين فقال : ﴿ **وادعوا من استطعتم** ﴾ .

وقد مضى الترتيب مسايرًا للملابسات حتى سورة الإسراء ، إذ وقع التحدي صراحة على جميع القرآن فوجه الكلام إلى الجن والإنس جميعًا .

٤ ــ وفي ترتيب المسبحات قد استوعب القرآن هذه الكلمة كلمة التسبيح من جميع جهاتها ، على ترتيب يتفق مع المعاني اللغوية تمام الاتفاق ، فلم يتقدم معنى يستحق التأخير ، ولم يتأخر معنى يستحق

التقديم .

فقد استعملت الكلمة أولاً في سورة الإسراء على هيئة المصدر سبحانه ، وأن المصدر هو الأصل اللغوي لجميع المشتقات ، ثم استعملت بعد المصدر ، بالفعل الماضي في سورة الحديد والحشر والصف ؛ لأن الماضي أسبق الزمانين ثم استعملت بالفعل المضارع في سورتي الجمعة والتغابن ، ثم جاءت أخيرًا بالفعل الأمر في سورة الأعلى ، فاستوعبت الكلمة من جميع جهاتها على ترتيب من أصلها وأزمنتها ، قبل أن يفطن إليه البشر الذين يخلطون بين الأزمنة والأصول والفروع " (٧١).

ومن عظم البناء القرآني أيضًا: التناسب :

وهو أنواع:

١- منها مناسبة فواتح السور وخواتمها ، كما في فاتحة سورة المؤمنون :﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ (٧٢) ، وفي نهايتها : ﴿ **إنه لا يفلح الكافرون** ﴾ (٧٣) . وكما في فاتحة سورة ص : ﴿ **والقرآن ذي الذكر** ﴾ (٧٤) . وخاتمتها : ﴿ **إن هو إلا ذكر للعالمين** ﴾(٧٥) .

ومنها : مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها ، وقد أشبع السيوطي القول في هذا النوع : .

٢- ومنها : اختصاص كل سورة من السور المفتتحة بالحروف المقطعة بما بدأت به ، حتى لم يكن من الممكن أن توضع " الم " ف موضع " الر " ولا " حم " موضع " طس " ؛ وذلك لأن كل سورة بدأت بحرف ، فإن هذا الحرف يغلب ويكثر في أثناء السورة .

ومثل ذلك سورة ق ويونس ، فقد تكررت الكلمات المحتوية على ق والراء في هاتين السورتين وأمثالهما من خمسين مرة إلى مائتي مرة

، حسب طول السورة ، وهكذا في جميع تلك السور .

٣- ومنها : التناسب بالتنظير والتضاد والاستطراد والتخلص إلى الغرض " (٧٦).

والخلاصة: أن ترتيب القرآن ــ تنزيلاً أو ترتيلاً ــ متسق اتساقًا ، ومنتظم انتظامًا بديعًا ، وهذا لم يتوفر في غيره من الكتب ، بل إن هذا ما يفقده الكتاب المقدس بعهديه . هل يمكن لعلماء أهل الكتاب أن يحدثونا عن نزول العهد القديم والجديد ، كيف نزلت آياته وما هي أسباب النزول عندهم ، وهل يمكن أن يحدثونا عن ربط الآيات والاصطلاحات والأسفار ببعضها البعض ؟

" القرآن وحده هو الكتاب الذي يعطيك من كل وجهة ، من وجهتي ترتيبه منهجًا عالميًا جامعًا مانعًا محكمًا ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فهو في ترتيبه النزولي منهج لتأسيس دعوة ، وأسلوب إقناع بعقيدة ، وطريقة تبشير ، وإنذار ، ودحض كامل لمنطق الإلحاد المريض .

وهو في ترتيبه المصحفي أسلوب حياة ، وبناء حضارة ، ودستور للعالم كله ، محيط بكل صغيرة وكبيرة من حاجاته ومطالبه ، أحكم ترتيبه من الوجهة ليكون هداية للمؤمنين ، من حيث كان الترتيب النزولي هداية للمؤمنين ، وتدرجًا بالكافرين أو اللادينيين إلى مرتبة الإيمان ، وهو في كلا الحالين نبع لا يفيض للأسرار والعلوم " (٧٧).

المبحث الثالث
اتساق القرآن في تأليفه الصوتي

تتألف القشرة السطحية للجمال القرآني من خصيصتين:

- **الأولى**: عنما ينصت الإنسان إلى قارئ للقرآن الكريم حق قراءته ، ومرتل له حق ترتيله ، نازلاً بنفسه على هوى القرآن ، وليس نازلاً بالقرآن على هوى نفسه ، ثم انتبذ منه مكانًا قصيًا لا تسمع فيه جرس حروفه ، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها ، ومداتها وغناتها ، واتصالاتها ، وسكتاتها ، ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية وقد جردت تجريدًا ، فستجد نفسك منها بإزاء لحن غريب عجيب ، لا تجده في كلام آخر لو جرد هذا التجريد ، وجوّد هذا التجويد .

يقول الشيخ الدكتور محمد عبدالله دراز : " ستجد اتساقًا وائتلافًا يسترعي من سمعك ما تسترعيه الموسيقى والشعر ، على أنه ليس بأنغام الموسيقى ولا بأوزان الشعر ، بل إن القصيدة إذا أعيدت وكررت بتوقيع واحد ، فلا يلبث السمع أنه يمجها ، والطبع أن يملها ، بينما المرء في القرآن دائمًا في لحن متنوع متجدد ، تنتقل فيه بين أسباب ، وأوتار وفواصل ، على أوضاع مختلفة ، يأخذ منها كل وتر من أوتار قلبك بنصيب سواء .
فلا يعروك منه على كثرة ترداده ملالة ولا سآمة ، بل تفتأ تطلب منه المزيد " (٧٨).

هذا لجمال التوقيعي في لغة القرآن لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن حتى الذين لا يعرفون لغة العرب ، ولا عجب لأنه جمع بين طرفي الإطلاق والتقييد في حد وسط ، فكان له من النثر جلاله وروعته ، ومن الشعر جماله ومتعته .

- **الثانية :** " فإذا ما اقتربت بأذنك قليلاً قليلاً ، فطرقت سمعك جواهر حروفه خارجة من مخارجها الصحيحة فاجأتك منه لذة أخرى ، في نظم تلك الحروف ورصفها ، وترتيب أوضاعها فيما بينها ، هذا ينقر ، وذلك يصفر ، وثالث يهمس ، ورابع يجهر ، وآخر ينزلق عليه النفس ، وآخر يحتبس عنده النفس ، وهلم جرا ، فترى الجمال اللغوي ماثلاً أمامك ، في مجموعة مختلفة مؤتلفة ، لا كركرة ولا ثرثرة ، ولا رخاوة و لا معاظلة ، ولا تناكر و لا تنافر ، وهكذا ترى كلامًا ليس بالحضري الثائر ، ولا بالبدوي الخشن ، بل تراه وقد امتزجت فيه جزالة البادية وفخامتها ، برقة الحاضرة وسلاستها " (٧٩).

من هذه الخصوصية والتي قبلها ، تتألف القشرة السطحية للجمال القرآني ، وليس الشأن في هذا الغلاف ، إلا كشأن الأصداف مما تحويه اللآلئ النفيسة ، حيث إنه لما سبقت كلمته أن يصون علينا نفائس العلوم التي أودعها هذا الكتاب الكريم ، قضت حكمته أن يختار لها صوانًا يحببها إلى الناس بعذوبته ، ويغريهم عليها بطلاوته ، وهذا قمة الاتساق بين القشرة واللب ، أو بين الظاهر والباطن ، وبين الثوب ولابسه " فهو بمنزلة " الحذاء " يستحث النفوس على السير ، ويهون عليها وعثاء السفر ، لا جرم اصطفى لها من هذا اللسان العربي المبين ذلك القالب العذب الجميل " (٨٠).

ومن أجل ذلك سيبقى صوت القرآن أبدًا في أفواه الناس وآذانهم ، ما دامت فيهم حاسة التذوق وحاسة سمع .

وإذا كان الكلام ينقسم إلى شعر ونثر ، فإن القرآن الكريم يختلف كل الاختلاف عنهما فأسلوب القرآن ينهج نهجًا خاصًا به لا هو بالشعر ولا هو بالنثر ولكنه قرآن ، وذلك أن القرآن لا يخضع لقواعد النثر ولا لقواعد الشعر ، ولكن له موسيقى خاصة به ، تحسها من تركيب ألفاظه وفي تتابع

آياته ، ولا أعلم من جميع الآثار البيانية شعرًا أو نثرًا كلامًا كلما ازداد الناس منه تلاوةً وترتيلاً ازدادوا تأثرًا إلا القرآن ، فكل كلام يكثر تكراره يخف على السمع وعلى النفس عداه .

" لقد وصل الأمر بالقرآن إلى أن أصبحت نغماته ميراثـًا، ينتقل في حواس المسلمين الباطنة من جيل إلى جيل ، حتى انتهينا إلى أنه يكفي أن يقال : " إن فيها خطأ أمام شخص لا يحفظ القرآن ، ولكن له إلمام يسير ببعض سوره ، لكي يدرك أن في هذه الآية لفظًا قلقًا ، وأنه من الخير مراجعة المصحف " (٨١).

القرآن يختلف عن الحديث:

وأسلوب القرآن بالوصف السابق يختلف كل الاختلاف عن الحديث، فالأول كلام الله تعالى ، والثاني كلام النبي ﷺ ، وليس بين الأسلوبين مقارنة ، فلدينا كتب الحديث قد توفر المسلمون على دراستها ، وحفظ الكثير منها طوال قرون وقرون ، والمسلمون يحرصون على كلام نبيهم ، كما يحرصون على مصحفهم ، فإذا صح أن النبي هو منشئ القرآن كما يقول
المستشرقون ، وأنه منشئ الأحاديث ، فمن أين يأتي الفرق الواضح في الأسلوب ، وفي التأثير بين الآية والحديث ؟

إن خصائص القرآن الأسلوبية ، تختلف اختلافًا كبيرًا عن خصائص الأحاديث ، بل إن ألفاظ القرآن تختلف عن ألفاظ الحديث ، فهل يعقل أن يصدر عن شخص واحد كلامان : أحدهما يخضع لقواعد معينة والثاني يخضع لقواعد أخرى ، تختلف تمامًا عن قواعد الكلام الأول ؟ (٨٢).

نغم القرآن :

" وننتهي إلى إعجاز القرآن الكريم ، فإذا نحن نرد سحره إلى نسقه الذي يجمع بين مزايا النثر والشعر جميعًا بموسيقاه الداخلية وفواصله المتقاربة في الوزن التي تغنى عن التفاعيل وتقفيته التي تغني عن القوافي " (٨٣).

" إن هذه الموسيقى الداخلية لتبعث في القرآن حتى من اللفظة المفردة في كل آية من آياته ، فتكاد تستقل بجرسها ونغمتها بتصوير لوحة كاملة ، فيها اللون زاهيًا أو شاحبًا ، وفيها الظل شفيفًا أو كثيفًا .

رأيت لونًا أزهى من نضرة الوجوه السعيدة الناظرة إلى الله ، ولونًا أشد تجهمًا من سواد الوجوه الشقية الكالحة الباسرة في قوله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة** ﴾ (٨٤).

وقد استقلت في لوحة السعداء لفظة " ناضرة " بتصوير أزهى لون وأبهاه ، كما استقلت في لوحة الأشقياء لفظة " باسرة " برسم أمقت لون وأنكاه .

وحين تسمع همس السين في قوله تعالى :﴿ **فلا أقسم بالخنس * الجوار الكنس * والليل إذا عسعس * والصبح إذا تنفس** ﴾ (٨٥) ، تكاد تستشف نعومة ظلها مثلما تستريح إلى خفة وقعها .

بينما تقع الرهبة في صدرك وأنت تسمع لاهثًا مكروبًا صوت الدال المنذرة المتوعدة مسبوقة بالياء المشبعة المديدة في لفظة " تحيد " بدلاً من " تنحرف " أو " تبتعد " في قوله تعالى : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ (٨٦).

" ومن الأوصاف التي اشتقها القرآن ليوم القيامة : " الصاخة " و " الطامة " .

" والصاخة " لفظة تكاد تخرق صماخ الأذن في نقلها وعمق جرسها وشقها للهواء شقًا حتى يصل إلى الأذن صاخًا ملحًا .

" والطامة " لفظة ذات دوي وطنين تخيل إليك بجرسها المدوي أنها تطم وتعم كالطوفان يغمر كل شيء ويطويه " (٨٧) .

وهكذا تتبدى تلك الموسيقى الداخلية في بناء التعبير القرآني ، الموزونة بميزان شديد الحساسية ، كما تتعدد ألوان الإيقاع الموسيقي وتتنوع بتنوع الأجواء التي تطلق فيها ، ويضرب لنا الأستاذ / سيد قطب مثلين من سورة واحدة ، فيقول : " في سورة النازعات أسلوبان موسيقيان وإيقاعان ينسجمان مع جويه فيهما تمام الانسجام ، أولهما يظهر في هذه المقطوعة السريعة الحركة قصيرة الموجة القوية المبنى تنسجم مع جو مكهرب سريع النبض شديد الارتجاف على النحو التالي : ﴿ **والنازعات غرقًا * والناشطات نشطًا * والسابحات سبحًا * فالسابقات سبقًا * فالمدبرات أمرًا * يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة * قلوب يومئذ واجفة * أبصارها خاشعة * يقولون أإنا لمردودون في الحافرة * أإذا كنا عظامًا نخرة * قالوا تلك إذًا كرة خاسرة * فإنما هي زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة** ﴾ (٨٨).

والثاني يظهر في هذه المقطوعة الوافية الحركة ، الرضية الموجة ، المتوسطة الطول ، تنسجم مع الجو القصصي الذي يلي مباشرة في الصورة حديث الكرة الخاسرة والزجرة الواحدة ، وحديث الساهرة على النحو التالي : ﴿ **هل أتاك حديث موسى * إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى * اذهب إلى فرعون إنه طغى * فقل هل لك إلى أن تزكى * وأهديك إلى ربك فتخشى** ﴾ (٨٩) .

أظن أننا لسنا في حاجة إلى قواعد موسيقية ولا إلى اصطلاحات فنية لندرك الفرق بين الأسلوبين والإيقاعين فهو واضح لا يخفى ، وهو كذلك منسجم في كل حالة مع الجو الذي تطلق فيه الموسيقى ، ولهذه الموسيقى وظيفة أساسية في مصاحبة المشهد المعروض في المرتبة الأولى والأخرى (٩٠).

" ولنستمع إلى نوع ثالث من هذه الموسيقى ، إنها موسيقى الدعاء

المتموجة الرضية الطويلة الخاشعـــــــة : ﴿ **ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار * ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار . . . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد** ﴾ (٩١).

أو دعاء آخر : ﴿ **ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء * الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء * رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء * ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب** ﴾ (٩٢) .

ولسنا في حاجة إلى قواعد واصطلاحات ، لنحس أم هذا أسلوب غير الأسلوبين السابقين منسجم مع الدعاء كل الانسجام بالتطريب والتموج والاسترسال .

ثم نخاطر فنلقى بلون من الموسيقى المتموجة الطويلة الموجة ــ ولكنه لون آخر تمامًا ــ نخاطر فنلقيه هنا اعتمادًا على وضوح الفارق بينه وبين اللون الذي مضى.

إن التكوين الموسيقي للجملة هنا يزيد على التموج العمقَ والسعةَ ، وفيه كذلك هول وشجى ، إنها موسيقى الطوفان : ﴿ **وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين * قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين** ﴾ (٩٣) .

إن التكوين الموسيقي للجملة ليذهب طولاً وعرضًا في عمق وارتفاع ليشترك في رسم الهول العريض العميق ، والمدات المتوالية المتنوعة في التكوين اللفظي للآية تساعد في إكمال الإيقاع وتكوينه واتساقه مع جو المشهد الرهيب العميق .

ونخاطر مرة أخرى فنعرض لونًا ثالثًا لتموج الموسيقى مع اختلاف تموجها واتجاهها : ﴿ **يأيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي** ﴾ (٩٤) .

" فليرتل القارئ هذه الآيات بصوت مسموع ليدرك تلك الموسيقى

الرضية المتماوجة إنها تشبه الموجة الرضية في ارتفاعها لقمتها وانبساطها الى نهايتها في هدوء واطمئنان يتفقان مع جو الطمأنينة في المشهد كله ، ولعل لتوازن المد إلى أعلى بالألف ، وإلى أسفل بالياء على التوالي ، شأنًا في هذا التموج ، ولكنه ليس كل الشأن ، فهو تفسير الأوزان لا الألحان يفسر الاتزان الخارجي في النغمة لا الروح الداخلي فيها ، ذلك الروح مرده إلى خصائص غامضة في جرس الحروف والكلمات ، يدركه من يقرأ التعبير القرآني في حساسة وإرهاف فلنكتف بهذا البيان الممكن ، حتى لا نقحم أنفسنا في خضم الاصطلاحات " (٩٥).

وهكذا نلحظ أن القرآن الكريم وثيقة لا تخضع للقواعد الموسيقية المعروفة ، ولا الاصطلاحات الفنية ، ولكنها موسيقى خاصة تتسق تمام الاتساق مع الآيات قصرًا وطولاً ، وتتفق مع الألفاظ خفةً وثقلاً ، وتنسجم مع المعاني ظهورًا وخفاءً ، فالأسلوب الموسيقي ينسجم في كل حالة مع الجو الذي تطلق فيه الموسيقى ، وحيثما تلا المسلم القرآن أحس بذلك الايقاع الداخلي في سياقه ، ويبرز بروزًا واضحًا في السور القصار والفواصل السريعة ، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة ، وتتوارى قليلاً أو كثيرًا في السور الطوال ، حتى تنفرد الدقة دونه في آيات التشريع ، ولكنه ملحوظ دائمًا في بناء النظم القرآني وإليك آيات من سورة النجم متساوية في الوزن تقريبًا ، وذات إيقاع موسيقي متحد بسبب تآلف الحروف في الكلمات وتناسق الكلمات في الجمل .

يقول تعالى : ﴿ **والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى * أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذًا قسمة ضيزى** ﴾ (٩٦).

المبحث الرابع
الاتساق في نظم القرآن

لما كان النظم القرآني يعتمد على اللفظة فسأركز في الحديث هنا على اللفظ القرآني الذي أولاه التنزيل عناية خاصة ، فاختاره بدقة ليدل على المعاني بدقة أيضًا .

وقد كان للجاحظ كتاب أسماه : " نظم القرآن " ، لكنه لضياعه لم يصل إلينا ، لكن بعض الدارسين لموضوع إعجاز القرآن ، قد حاولوا استنباط رأي الجاحظ في موضوع نظم القرآن من كتبه الأخرى .

" يرى الجاحظ أن الإعجاز متصل بالنظم وحده ، بصرف النظر عما يحويه القرآن من المعاني ، إذ طلب الله تعالى إليهم أن يأتوا بعشر سور من مثله في النظم والروعة في التأليف ،حتى ولو احتوى التأليف الرائع كل باطل ومفترى للمعنى له فما بال القرآن جمع إلى النظام الرائع المعاني الفائقة " (٩٧).

وفي كتاب " البيان والتبين " نعثر على رأي الجاحظ في اللفظ القرآني حيث يقول : " وقد يستخف الناس ألفاظًا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها : ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن " الجوع " إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر ، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر " المطر " لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام ، والأمة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث ، ولفظ القرآن إذا ذكر " الأبصار " لم يقل " الأسماع " وإذا ذكر " سبع سموات " لم يقل " الأرضين " ألا ترى أنه لا يجمع الأرض على أرضين ولا السمع أسماعًا والجاري على أفواه العامة غير ذلك " (٩٨).

وهذا الكلام يعني أن اللفظ القرآني اختير بدقة ؛ ليدل على المعاني

بدقة ، فقد يشترك لفظان في معنى واحد ، لكن أحدهما أدق من الآخر في الدلالة عليه ، ولنظم القرآن براعته في تنزيل اللفظ ، فنزله في الموضع الذي أريد له ، ويمتاز بروعته في الاختيار ومراعاة الفروق بين الألفاظ ، فلا يأتي بالألفاظ المترادفة دالاً على معنى واحد دائمًا ، للدلالة على معاني مختلفة .

يقول الدكتور بكري شيخ أمين : " وبقدر الدقة في إصابة المعنى يكون الفرق بين ألفاظ الناس في كلامهم وألفاظ القرآن " (٩٩).

ويقول سيد قطب : " وللألفاظ كما للعبارات ظلال خاصة ، يلحظها الحس البصير ، حينما يوجه إليها انتباهه ، وحينما يستدعي صورة مدلولها الحسية ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها** ﴾ (١٠٠)، فالظل الذي تلقيه كلمة " انسلخ " يرسم صورة عميقة للتملص من هذه الآيات لأن الانسلاخ حركة حسية قوية ، ومثله : ﴿**فأصبح في المدينة خائفًا يترقب** ﴾ (١٠١) ، فلفظة " يترقب " ترسم هيئة الحذر المتلفت ، ولا تغفل هنا أنه خائف يترقب في المدينة موضع الأمن والاطمئنان عادة ، فالعبارة هنا تبرز قيمة اللفظ المصور للفزع في موطن الأمان (١٠٢).

" إن من أجل وأبدع وسائل القرآن في التعبير وضع اللفظة القرآنية في مكانها ، حيث لا يمكن أن تحل كلمة مكان كلمة أخرى ، بل إن اللفظ الواحد في القرآن ــ اتساقاً مع جو الآيات ــ قد يرسم صورة شاخصة تارة بجرسه الذي يلقيه في الأذن ، وتارة بظله الذي يلقيه في الخيال ، وتارة بالجرس والظل معًا ، (تسمع الأذن كلمة اثّاقلتم من قوله : ﴿ **يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض** ﴾ (١٠٣) فيتصور الخيال ذلك بالجسم المثاقل يرفعه الرافعون في جهد فيسقط من أيديهم في ثقل ، إن في هذه الكلمة " طنًا " على الأقل من الأثقال ، ولو أنك قلت تثاقلتم ، لخف الجرس ولضاع الأثر المنشود

ولتوارت الصورة المطلوبة الي رسمها هذا اللفظ .

وتقرأ : ﴿ **وإن منكم لمن ليبطئن** ﴾ فترسم صورة التبطئة في جرس العبارة كلها ، وفي جرس " ليبطئن " خاصة ، وإن اللسان ليكاد يتعثر وهو يتخبط فيها حتى يصل ببطء إلى نهايتها " (١٠٤) .

وبهذا فإن الإنسان إذا تأمل في الكلمات التي تتألف منها الجمل القرآنية ، يرى أنها تمتاز بميزات أربع رئيسية هي :

١ ــ دلالة وقعها في السمع .

٢ ــ اتساقها الكامل مع المعنى .

٣ ــ اتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات .

٤ ــ دقتها في أداء المعنى المطلوب .

يقول تعالى في وصف كل من الليل والصبح : ﴿ **والليل إذا عسعس * والصبح إذا تنفس** ﴾ (١٠٥) .

ألا تشم رائحة المعنى واضحًا قويًا من كل من هاتين الكلمتين ؟

ألا تشعر أن الكاميرا تبعث في خيالك صورة المعنى محسوسًا دون حاجة للرجوع إلى قواميس اللغــة ؟

وهل في مقدورك أن تصور إقبال الليل وتمدده في الآفاق المترامية بكلمة أدق وأدل من " عسعس " ؟

وهل تصور انفلات الصبح من مخبأ الليل وسجنه بكلمة أروع من " تنفس " ؟

وإنك لو فتشت في معاجم اللغة وقواميسها ، لا تجد فيها أدق من هاتين الكلمتين في التعبير عن هذين المعنيين (١٠٦).

واقرأ قوله تعالى في وصف خمر الجنة : ﴿ **لا يصدعون عنها ولا ينزفون** ﴾ (١٠٧) .

وتأمل كيف نفى الله عنها بهذين اللفظين جميع عيوب الخمر وجمع

بقوله ﴿ **لا ينزفون** ﴾ عدم العقل وذهاب المال ونفاد الشراب (١٠٨).

ويقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ــ حجة الأدب في عصره ــ : " وفي القرآن لفظة غريبة هي من أغرب ما فيه ، وما حسنت من كلام قط إلا في موقعها منه ، وهي كلمة " ضيزى " من قوله تعالى : ﴿ **تلك إذًا قسمة ضيزى** ﴾ (١٠٩)، ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه ، ولو أوردت اللغة العربية عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها ، فإن السورة التي هي فيها وهي سورة " النجم " مفصلة كلها على الياء ، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل ثم هي في معرض الإنكار على العرب ، إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد ، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله ، مع وأدهم البنات فقال تعالى : ﴿ **ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذًا قسمة ضيزى** ﴾ فكانت غرابة اللفظة أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها ، وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى ، والتهكم في الأخرى ، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل " (١١٠).

ونفى مصطفى صادق الرافعي في كتابه– تحت بحث مفردات القرآن – أن يكون فيه لفظ منكر أو نافر أو شاذ ؛ لأن اللفظة الغريبة هي التي يحكم عليها أهل العلم والتأويل ،لا الجهلة والغافلون ، ولم يقل أهل الثقة بذلك أبدًا

هذه بعض الأمثلة القرآنية التي تثبت ما امتازت به مفردات القرآن الكريم ، من الجمال الصوتي والتناسق الفني ، والإيقاع الموسيقي ، والائتلاف المحكم ، والإيحاء العجيب ، والتصوير البديع ، كما يدل على أن نظم هذه الألفاظ مادة فوق الصنعة وليست من وضع البشر ، إنما هو شيء فوق مقدورهم .

المبحث الخامس
اتساق الأسلوب القرآني

إذا كنت قد تحدثت في النقطة السابقة عن اللفظة ، ونظمها في القرآن ، فإنني أعنى هنا بأسلوب الجملة الجملة القرآنية وصياغتها .

إن دراسة الجملة القرآنية تتصل اتصالاً مباشرًا بدراسة المفردة القرآنية ، لأن هذه أساس الجملة ومنها تركيبها وللإعجاز لصياغة العبارة القرآنية وجوه كثيرة منها :

١ ــ التلاؤم والاتساق التام بين كلماتها وتلاحق حركاتها وسكناتها ، فالجملة في القرآن الكريم تجدها دائمًا مؤلفة من كلمات وحروف وأصوات ، يستريح لتآلفها السمع والصوت والنطق ، ويتكون من تضامنها نسق جميل ينطوي على إيقاع واقعي ، ما كان ليتم لو نقصت من الجملة كلمة أو حرف ، أو اختلف ترتيب ما بينها بشكل من الأشكال (١١١).

ويقول الدكتور / دراز : " في كل جملة منه جهاز من أجهزة المعنى ، وفي كل كلمة منه عضو من أعضائه ، وفي كل حرف منه جزء بقدره ، وفي أوضاع كلماته من جمله وأوضاع جمله من آياته سر الحياة ، الذي ينتظم المعنى بأدائه ، وبالجملة فجمله محاسن متوالية وبدائع تترا " (١١٢) .

ونضرب لذلك مثلاً يقول تعالى : ﴿ **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيونًا فالتقى الماء على أمر قد قدر** ﴾ (١١٣) .

" تأمل تناسق الكلمات في كل جملة منها ، ثم دقق نظرك وتأمل تآلف الحروف الرخوة مع الشديدة ، مع المهموسة والمجهورة وغيرها ، ثم حاول أن تمعن في تآلف وتعاطف الحركات والسكنات ، والمدود اللاحقة ببعضها ، فإنك إذا تأملت في ذلك علمت أن هذه الجمل القرآنية إنما صبت من الكلمات والحروف والحركات في مقدار ، وأن ذلك إنما قدر تقديرًا بعلم اللطيف الخبير ، وهيهات للمقاييس البشرية أن تضبط بهذه القوالب الدقيقة " (١١٤).

٢ ــ ومنها : دلالة الجملة القرآنية على أوسع معنى بأقصر عبارة ، دون

أن تجد فيه اختصارًا مخلاً أو ضعفًا في الدلالة يقول تعالى : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ (١١٥).

ثم تأمل كيف جمع الله بهذا الكلام كل خلق عظيم ؛ لأن في " أخذ العفو " صلة القاطعين والصفح عن الظالمين وإعطاء المانعين وفي " الأمر بالمعروف " تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان عن الكذب وغض الطرف عن الحرمات ، وفي " الإعراض عن الجاهلين " الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مجاراة السفيه ومنازعة اللجوج " (١١٦).

ويقول تعالى : ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم و لا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين** ﴾ (١١٧).

" وتأمل كيف جمعت هذه الآية الكريمة – على وجازتها – بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين، أما الأمران فهما : " أرضعيه " و " ألقيه في اليم " ، وأما النهيان فهما : " لا تخافي " و " لا تحزني " ، وأما الخبران فهما " أوحينا " و " خفت " ، وأما البشارتان فهما : " إنا رادوه إليك " و " جاعلوه من المرسلين " إنه الإعجاز يلبس ثوب الإيجاز فتخر لعظمته جباه أساطين البيان وتسجد لجماله أفكار دهاقين الكلام " (١١٨).

وفي قوله تعالى : ﴿ **إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى** ﴾ (١١٩). جماع لأصول معايش الإنسان كلها ، من طعام وشراب وملبس ومأوى .

يقول الإمام السيوطي : " اعلم أن هذا القرآن منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة منها حسن تأليفه ، والتئام كلمه ، وفصاحته ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته الخارقة لمادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن .

٣ – ومنها : صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب (١٢٠)

" لقد كان القرآن معجزًا ؛ لما فيه من دقة النظم وجمال الأسلوب ،

وعذوبة الألفاظ وبهاء الرونق ، وكمال البيان ، فأنت تقرأ القرآن ، أو تسمعه فتحس لألفاظه وقعًا ليس لسواها ، وتشهد لنظمه إحكامًا وإتقاناً ومتانة ً ، ليست فيما عداه ، وأمامك المصحف الشريف تستطيع أن تتناوله ، وأن تقرأ ما شئت منه لترى ، مصداق ما تقول ، ولتأسرك هذه الدقة العجيبة الفريدة في اختيار الألفاظ وتنسيق الأسلوب " (١٢١).

المبحث السادس
الاتساق في توالي المعاني

قال بعض الأئمة: تضمنت سورة الفاتحة الإقرار بالربوبية والالتجاء إليها في دين الإسلام والصيانة عن اليهود والنصارى وسورة البقرة، تضمنت قواعد الدين، وآل عمران مكملة لمقصودهما .

فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم ، وآل عمران بمنزلة الجواب على شبهات الخصوم ، فلهذا أورد منها كثير من المتشابه لما تمسك به النصارى .

" فأوجب الحج في آل عمران ، وأما البقرة فذكر فيها أنه مشروع ، وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه ، وكان خطاب النصارى في آل عمران ، كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر ؛ لأن التوراة أصل والإنجيل فرع لها ، والنبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم . وكان جهاده في آخر الأمر ، كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب ، ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء ، فخوطب به جميع الناس ، والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين ، فخوطبوا بيأهل الكتاب ، يا بني إسرائيل ، يأيها الذين آمنوا .

وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التي بين الناس وهي نوعان : مخلوقة لله ، ومقدورة لهم ، كالنسب والصهر ، ولهذا افتتحت بقوله : ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها** ﴾ (١٢٢) ، وقال : ﴿ **فاتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام** ﴾ (١٢٣).

فانظر إلى هذه المناسبة العجيبة والافتتاح وبراعة الاستهلال ، حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما في أكثر السورة من أحكام :

من نكاح النساء ومحرماته ، والمواريث المتعلقة بالأرحام ، وإن ابتداء هذه الأمر بخلق آدم ، ثم خلق زوجته منه ، ثم بث منهما رجالاً كثيرًا ونساء في غاية الكثرة .

أما المائدة فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشرائع ومكملات الدين والوفاء بعهود الرسل ، وما أخذ على الأمة ونهاية الدين ، فهي سورة التكميل لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الإحرام ، وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين ، وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال ، وإحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله ، ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد ﷺ ، والتيمم ، والحكم بالقرآن على كل ذي دين ، ولهذا كثر فيها لفظ الإكمال والإتمام ، وذكر فيها أن من ارتد عوض الله بخير منه ، ولا يزال هذا الدين كاملاً ، ولهذا ورد أنها آخر ما نزل لما فيها من إرشادات الختم والتمام ، وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات من أحسن الترتيب " (١٢٤).

ومثال آخر لتوالي المعاني في السور وربطها ببعضها ، يقول الإمام السيوطي : " اعلم أن سورة بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء من قديم ما أنزل ، وقد أخرج البخاري عن ابن مسعود أنه قال في هذه السور الخمس : " من العتاق الأول وهن من تلادي " وهذا وجه في ترتيبها

وهو اشتراكها في عزم النزول ، وكونها مكيات وكونها مشتملة على القصص " (١٢٥).

اتساق القرآن ومقاصده:

يقول الله تعالى :﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم** ﴾ (١٢٦).

فوصف القرآن بأنه كتاب متشابه ، وجعل هذا صفة مدح له ، وذلك لأن القرآن يشتمل على أنواع من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد والقصص والمواعظ ، وما إلى ذلك من الأنواع التي يشتمل عليها ، وتتكرر في كل سورة من سوره ، وكلها أنواع متشابهة المقاصد ، متقاربة الأغراض ،

لا تخرج عن الوظيفة الدينية للقرآن ، ولا تحيد عن الغاية الدينية التي نزل القرآن من أجلها ، ؛ لأنه نزل لتشريع العقائد والأحكام ، فيجب أن يقف عند حدودها ، وأن يكون كل ما فيه من أوامر ونواه ووعد ووعيد وقصص ومواعظ وغيرها ، متصلاً بها ، فلا يقصد منه غير هذا من بيان مسائل التاريخ أو الطب أو غيرهما من العلوم ؛ لأنه لم ينزل لغرض من هذه الأغراض ، وإنما للأغراض السابقة التي لا سبيل لمعرفتها إلا بالوحي ، أما هذه الأغراض العلمية ، فإنها تعرف بالعقل ، ولا تتوقف معرفتها على الوحي ، فلا يصح أن يخلط بينهما وبين الأغراض السابقة في كتاب ديني كالقرآن أو غيره " (١٢٧).

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره الآية : " القرآن يشبه بعضه بعضًا ويرد بعضه على بعض ، وسياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد" (١٢٨).

وكلمة " متشابهًا " كلمة عامة فهي تشمل تشابه الكتابة في الكلمات والحروف والمعاني والمقاصد والإعجاز ، يقول محمد فريد وجدي : " ﴿ **كتابًا متشابهًا** ﴾ أي أن أبعاضه متشابهة مع الإعجاز " (١٢٩).

ويقول الإمام الزمخشري : " ﴿ **متشابهًا** ﴾ مطلق في مشابهة بعضه بعضًا ، فكان متناولاً لتشابه معانيه في الصحة والإحكام والبناء على الحق والصدق ، ومنطق الخلق ، وتناسب ألفاظه وتناسقها في التخيير والإصابة وتجاوب نظمه وتأليفه في الإعجاز والتبكيت " (١٣٠).

هذا التشابه ــ وخاصة في المقاصد والأغراض ــ دليل آخر على اتساق القرآن الكريم وانسجامه وقد حددت الوظيفة الدينية للقرآن في فاتحته وهي أول سورة منه في قوله تعالى : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾(١٣١). وهو في هذا يبين أنه يراد من القرآن الهداية إلى صراط مستقيم وهو الدين الذي بعث به النبي ﷺ ، وفاتحة الكتاب هي التي تحدد المقصود منه وتبين الغرض الذي يريد تحقيقه ، وقد توالت سور القرآن بعد هذه الفاتحة

فسارت في هذا الغرض الذي حدد فيها ، ولم تحد سورة منها عنه ، وبهذا تشابهت سوره في أغراضها ومقاصدها .

ولم تعن سورة من سور القرآن لتدوين تاريخ الخلق مثلاً ، أو تاريخ شعب من الشعوب فتسن في هذا أسلوبًا تاريخيًا يقصد منه الاطلاع ومعرفة الأخبار ، لأن هذا ليس في شيء من وظيفة الكتب السماوية ، ولا يتوقف أمره على تنزيل سماوي ، كما أن القرآن لا يقص علينا أخبار الماضين كما يقصها المؤرخون ، وإنما يقصها ليستخلص منها العظة الدينية ، وهنا تختلف وظيفة الكتاب المنزل عن الكتاب التريخي .

" فالكتاب المنزل إذا ذكر أخبار قوم من الماضين يذكر نتفًا من هنا ونتفًا من هناك فيختارها اختيارًا يوافق غايته الدينية ، أما الكتاب التاريخي فيذكرها كاملة غير منقوصة ، ويرتبها ترتيبًا يوافق ترتيبها حوادث
الزمن " (١٣٢).

ولهذا كله امتاز القرآن بهذا الاسم من بين الكتب ، لأن القرآن مصدر قرأ يقرأ وقراءةً وقرآنًا ، فتعرف حقيقته من عنوانه ، وتدرك وظيفته من اسمه .

هوامش البحث

(١) أبو محمد مكي بن أبي طالبا: لهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه جـ٢، صـ ١٣٩٧، مجموعة بحوث الكتاب والسنة –كلية الشريعة والدراسات الإسلامية –جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨مـ

(٢) انظر المعجم الوسيط، جـ٢، صـ ١٠٣٢، مجمع اللغة العربية

(٣) سورة الانشقاق: آية ١٨

(٤) لسان العرب: صـ ٤٨٣٦

(٥) المرجع السابق: صـ ٤٨٣٧

(٦) الإسراء : ١٠٦ .

(٧) الفرقان : ٣٢ .

(٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، جـ ١ ص ٥٧ .

(٩) الإتقان في علوم القرآن ، جـ ١ ص ٥٧ .

(١٠) انظر : المصدر السابق جـ ١ ص ٥٦ ، وانظر : مناهل العرفان ، جـ ١ ص ٥٣ .

(١١) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن ، جـ ٩ ص ٣٢ ، ٣٣ من فتح الباري .

(١٢) بحث جديد عن القرآن محمد صبيح ص ١٠٠ ، ط . السادسة دار الثقافة العامة .

(١٣) الفرقان : ٣٢ .

(١٤) الإتقان ، جـ ١ ص ٥٦ .

(١٥) مناهل العرفان ، جـ ١ ص ٥٣ .

(١٦) مناهل العرفان ، جـ ١ ص ٥٣ .

(١٧) المصدر السابق ، جـ ١ ص ٥٤ .

(١٨) نفسه .

(١٩) هود : ١٢٠.
(٢٠) الطور : ٤٨ .
(٢١) المائدة : ٦٧ .
(٢٢) الأحقاف : ٣٥ .
(٢٣) مناهل العرفان ، جـ ١ ص ٥٨ .
(٢٤) المجادلة : ١ .
(٢٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود ، الناشر : دار المصحف ، جـ ٨ ص ١٢٥ .
(٢٦) النور : ١١ ــ ٢٠ .
(٢٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، جـ ٣ ص ٢٦٨ .
(٢٨) البقرة : ٢١٥ .
(٢٩) أسباب النزول للسيوطي ، ص ٤٠ تحقيق الأستاذ قرني أبو عميرة ، الناشر : مكتبة نصر ، ص ٤٠ وانظر أسباب النزول للواحدي ، ص ٤٥ ــ ٥١ .
(٣٠) البقرة : ٢١٥ ــ ٢٢٢.
(٣١) أسباب النزول ، ص ٢٢٠ . الحديث رواه البخاري ، كتاب التفسير باب ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾ جـ ٨ ص ٣٢٣ .
(٣٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .
(٣٣)الكهف : ٨٣ .
(٣٤) التوبة : ٢٥ ــ ٢٧ .
(٣٥) أسباب النزول ، ص ١٣٨ . وانظر : رواية يونس بن بكير في زيادات المغازي ، قاله ابن حجر في الفتح ، جـ ٨ ص ٢٢ .
(٣٦) مناهل العرفان ، جـ ١ ص ٥٩ .
(٣٧) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، من مقدمة المحقق، ط . الثانية، دار الاعتصام ، سنة ١٩٧٨ م ، ص ٢٦.

(٣٨) الفرقان : ٣٣ .

(٣٩) مقدمة أسرار ترتيب القرآن للمحقق عبدالقادر أحمد عطا ، ص ٢٧ .

(٤٠) مناهل العرفان ، جـ ١ ص ٥٦ .

(٤١) انظر مناهل العرفان ، ص ٥٧ .

(٤٢) الإسراء : ١٠٦ .

(٤٣) البقرة : ٨ : ٢٠ .

(٤٤) مناهل العرفان ، جـ ١ ص ٦٢ .

(٤٥) الإتقان في علوم القرآن ، جـ ١ ص ٨٠ ، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك بسنده على شرط الشيخين ، عن زيد بن ثابت .

(٤٦) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس ، ورواه أبو داود في كتاب الصلاة باب من جهر بها ، طبعة المكتبة السلفية ، جـ ٢ ص ٤٩٥ .

(٤٧) الإتقان في علوم القرآن ، جـ ١ ص ٨١ .

(٤٨) الإتقان : جـ ١ ص ٨١ .

(٤٩) الإتقان : جـ ١ ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٥٠) رواه مسلم ، في كتاب الصلاة باب فضل قراءة القرآن ، وسورة البقرة / عن أبي أمامة جـ ٢ ص ١٩٧ .

(٥١) أخرجه البخاري ، كتاب التفسير سورة بني إسرائيل ، جـ ٨ ص ٣٠٣ ، وسورة الأنبياء جـ ٨ ص ٣٥١ . وكتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن جـ ٩ ص ٣٣ كله من قول ابن مسعود موقوفاً وليس مرفوعًا .

(٥٢) أسرار ترتيب القرآ، للسيوطي ، ص ٢٨ ، من مقدمة المحقق .

(٥٣) الزمر : ٥٢ ــ ٥٦ .

(٥٤) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ، ص ٢٩ .

(٥٥) الظاهرة القرآنية لمالم بن نبي ، دار الفكر ، ترجمة عبدالصبور شاهين ، ص ١٧٧ .
(٥٦) مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ط . الخامسة عشرة ، ص ٨٩ .
(٥٧) التصوير الفني في القرآن للأستاذ سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، ص ١٧ .
(٥٨) المرجع السابق ، ص ٢١ .
(٥٩) إعجاز القرآن للدكتور السيد محمد الحكيم ، مطبعة دار التأليف ، سنة ١٩٧٨ م ، ص ٧١ .
(٦٠) انظر تناسق الدرر في تناسب السور ، تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . الأولى ، ص ٥٩ .
(٦١) الزمر : ٢٣ .
(٦٢) هود : ١٣ .
(٦٣) انظر : تناسق الدرر في تناسب السور ص ٣٢ ، ٢٤ ، من مقدمة المحقق .
(٦٤) البقرة : ١٩٣ .
(٦٥) الأنفال : ٣٩ .
(٦٦) تناسق الدرر في تناسب السور ، ص ٢٥ ، من مقدمة المحقق .
(٦٧) البقرة : ٢٣ .
(٦٨) هود : ١٣ .
(٦٩) الإسراء : ٨٨ .
(٧٠) تناسق الدرر ، ص ٢٦ ، من مقدمة المحقق .
(٧١) تناسق الدرر ، ص ٢٧ .
(٧٢) المؤمنون : ١ .
(٧٣) المؤمنون : ١١٧ .

(٧٤) ص : ١ .
(٧٥) ص : ٨٨ .
(٧٦) انظر : أسرار ترتيب القرآن ، ص ٤٦ .
(٧٧) انظر : أسرار ترتيب القرآن ، ص ٣٣ ، ٣٤ب.
(٧٨) النبأ العظيم ، دار القلم بالكويت . ط . الرابعة ، ١٩٧٧ م . ص ١٠٢.
(٧٩) المرجع السابق ، ص ١٠٤ .
(٨٠) نفسه .
(٨١) بحث جديد عن القرآن الكريم لمحمد صبيح ، ص ١٠٦ .
(٨٢) انظر : المرجع السابق ، ص ١٠٧ ، والقرآن والمستشرقون ، ص ٦٢ ، ٦٣ ، وكتاب زثورة الإسلام لمحمد لطفي جمعة ، ص ٥٧٠ .
(٨٣) مباحث في علوم القرآن ، ص ٣٤٥ .
(٨٤) القيامة : ٢٢ ــ ٢٥ .
(٨٥) التكوير : ١٥ ــ ١٨ .
(٨٦) ق : ١٩ . مباحث في علوم القرآن ص ٣٣٥ .
(٨٧) التصوير الفني في القرآن ، ص ٥٨ .
(٨٨) النازعات : ١ ــــ١١ .
(٨٩) النازعات : ١٥ ــ ١٩ .
(٩٠) التصوير الفني في القرآن ، ص ٩١ ، ٩٢ .
(٩١) آل عمران : ١٩١ ــ ١٩٤ .
(٩٢) إبراهيم : ٣٨ ــ ٤١ .
(٩٣) هود : ٤٢ ، ٤٣ .
(٩٤) الفجر : ٢٧ ــــ ٣٠ .
(٩٥) التصوير الفني في القرآن ، ص ٩٢ ــ ٩٤ .
(٩٦) النجم : ١ ــ ٢٢ .
(٩٧) حجج النبوة للجاحظ ، ص ١٤٤ .

(٩٨) البيان والتبين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، سنة ١٩٤٨ ، جـ ١ ص ٢٠
(٩٩) التعبير الفني في القرآن ، ص ١٥٩ .
(١٠٠) الأعراف : ١٧٥ .
(١٠١) القصص : ١٨ .
(١٠٢) التصوير الفني في القرآن ، ص ٧٣ .
(١٠٣) التوبة : ٣٨ .
(١٠٤) التصوير الفني في القرآن ، ص ٧٦ .
(١٠٥) التكوير : ١٧ ، ١٨ .
(١٠٦) انظر من روائع القرآن لمحمد سعيد رمضان البوطي ، طبعة دمشق ، سنة ١٩٧٠ ، ص ١٤٣ .
(١٠٧) الواقعة : ١٩ .
(١٠٨) انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، طبعة مصر ، سنة ١٩٥٤ م ، ص ٥ .
(١٠٩) النجم : ٢١ .
(١١٠) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص ٢٦١ .
(١١١) الإعجاز في نظم القرآن للدكتور محمود السيد شيخون ،مكتبة الكليات الأزهرية ط . الأولى ، سنة ١٩٧٨ م ص ٨٦ .
(١١٢) النبأ العظيم ، ص ١١٢ .
(١١٣) القمر ١١ ، ١٢ .
(١١٤) من روائع القرآن للبوطي ، ص ١٣٧ .
(١١٥) الأعراف : ١٩٩ .
(١١٦) انظر : تأويل مشكل القرآن ، ص ٥ .
(١١٧) القصص : ٧ .
(١١٨) الإعجاز في نظم القرآن ، ص ٨٧ .

(١١٩) طه : ١٨ ، ١٩ .

(١٢٠) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، جـ ٢ ص ١٥٦ .

(١٢١) مع كتاب الله للدكتور أحمد الشرباصي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، العدد ٢١٠ ، ص ٤٣ .

(١٢٢) النساء : ١ .

(١٢٣) النساء : ١ .

(١٢٤) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(١٢٥) أسرار ترتيب القرآن : ص ١١٣ .

(١٢٦) الزمر : ٢٣ .

(١٢٧) النظم الفني في القرآن ، للدكتور عبدالمتعال الصعيدي مكتبة الآداب ، ص ٣٦ ، ٣٧

(١٢٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، جـ ٤ ص ٥٠ .

(١٢٩) المصحف المفسر محمد فريد وجدي ، ص ٦٠٩ .

(١٣٠) تفسير الكشاف ، ج، ٣ ص ٢٩٥ .

(١٣١) الفاتحة : ٦ .

(١٣٢) النظم الفني في القرآن ، ص ٣٨ .